

التقرير اليومي

2007/4/27

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

معاناة بغداد

بقلم ليندا روبنسون؛ التقرير الإخباري الأميركي والعالمي؛ 2007/4/22

(يقول القائد الأميركي الأعلى في العراق بأنّ الخطة الأمنية الجديدة "ستستلزم أشهراً، وليس أياماً ولا أسابيع")

بغداد- مع هبوب العواصف الرملية الأولى الفصلية وتحويلها سماء بغداد الى اللون البني يوم الأربعاء الماضي، انفجرت سيارة مفخخة خلال فترة الظهر. وأعقب ذلك ثلاث انفجارات أخرى خلال الساعات الست التالية، والتي أدت بمجموعها الى مقتل 150 عراقي وجرح 200 آخرين في يوم من أكثر الأيام دموية في خلال أربع سنوات، منذ أن قامت الولايات المتحدة بالغزو لإطاحة صدام حسين. وقد حدثت معظم تلك الخسارة المروعة في موقف للسيارات تابع لسوق الصدرية- وهو موقع كان عرضة للإستهداف حديثاً بعدما إبتعد عنه سكانه مؤخراً بضع خطوات فقط لمنع هجمات كهذه.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي تضرب فيها السيارات المفخخة هذا المحيط المزدهم بالأعمال والسكان الشيعة، الى حد كبير. فالسوق نفسه كان قد دُمِرَ (وقتل حوالي 137 شخص) في وقت سابق من هذه السنة بعملية إنتحارية بشاحنة مفخخة.

ومعظم من مظاهر الدعم، قام القائد الجديد لقوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة، الجنرال دايفيد بترايوس، بتسجيل نقطة بزيارته السوق والإختلاط مع أصحاب الخلات والبائعين بعد وقت قصير من وصوله في شهر شباط. وكجزء من خطة بغداد الأمنية الجديدة التي كان بترايوس قد ساعد في وضع تصميمها، والمسؤول الآن عن تنفيذ عوائق إسمنتية كبيرة، والتي إستحضرت للتشديد على إمكانية الدخول الى موقف السيارات بعدما كان "الفريق الأحمر" العسكري قد حدد تلك المنطقة بأنها مستهدفة أيضاً. لكن في 15 نيسان، قبل ثلاثة أيام من الهجوم الفتاك، أمر مسؤولون عراقيون بسحب "عوائق تكساس" التي هي بعلو 12 قدم، بعدما تدمر السكان من الحاجز.

وفي مقابلة مطوّلة مع يو أس نيوز، وبعد يوم واحد من التفجيرات، نعى بترايوس بأسف شديد موت هؤلاء وقال بأنّ الإجراءات المتشددة، كالجدران الإسمنتية، تُعتبر جزءاً ضرورياً من البنود الأمنية. "على الناس أن يتحملوا دون شكوى الإزعاج"، قال بترايوس. وقد وجدت دعواته للعراقيين بالصبر والتجلد صداها لدى وزير الدفاع روبرت غايتس، الذي وصل لاحقاً في ذلك اليوم وزار محافظة الأنبار، حيث أفضت شهوراً من المفاوضات والتكتيكات الجيدة إلى ظهور بصيص أمل. إذ ما أن حصل إضطراب في المنطقة الغربية الجامحة ومرتع

السنة، حتى كان مستوى عنف التمرد في الأنبار قد هبط، حيث كانت العشائر السنية قد شكلت مجلساً محلياً وأرسلت الجندين للانضمام الى الشرطة النظامية والى ميليشيات لهذا الغرض دُعيت بـ "وحدات الرد الطارئة".

الإمتهان بحن الحكمة

من المفترض أن يقدم بترايوس هذا الأسبوع تقريره الأول والشامل حول تنفيذ ما سُميَ بإستراتيجية الزيادة. وسوف يواجه مجلس شيوخ منقسم بعمق حول العراق، مع القادة الديمقراطيين المشككين بخصوص فرص النجاح، والمتجهين نحو مواجهة مع الرئيس بوش حول وضع جدول زمني محدد لإنسحاب الجنود. ومع إستخدامه صيغة يُرجح أن يقوم بتوظيفها في شهادته للكونغرس، قال بترايوس أن من المبكر جداً إطلاق أي حكم حول عدد الجنود الضروريين وكذلك الفترة الزمنية.

"سيكون هناك شهرين آخرين قبل ان يصبح كل الجنود موجودين على الأرض"، قال بترايوس. "لدينا 60% فقط من الجنود موجودين الآن في أماكنهم. لقد كان هناك بعض التقدم، لكن الأمر سيستلزم أشهراً، وليس أياماً أو أسابيع". ثم أضاف قائلاً: "في النهاية، سيتطلب الأمر خطوات سياسية عراقية لتعزيز التسوية والمصالحة بين العراقيين".

ومع إيجازه لفترة أسابيعه التسع الأولى كقائد هنا، قال بترايوس بأننا "نرى بعض التقدم البطيء، لكننا أيضاً نرى خيبات أمل في بعض المناطق، كالسيارات المفخخة والتفجيرات الإنتحارية". كما قال بأنّ التقدم جاء بشكل إنحدار هام في أعمال القتل من قِبَل فرق الموت الشيعية منذ كانون الثاني. إلا أنّ المتمردین السنة، وكذلك الإرهابيين، عملوا على زيادة هجماتهم. فهم، على سبيل المثال، المسؤولون المفترضون عن تفجير سوق الصدرية. "من الواضح أنّ القاعدة تحاول إخراج الخطة الأمنية عن مسارها وذلك بالهيمنة على العنف الطائفي"، هذا ما قاله الجنرال عن الهجمات الأخيرة التي تضمنت أيضاً إنفجار البرلمان وتدمير جسر أساسي.

ويقول المسؤولون الأميركيون أيضاً بأنّ الزيادة في عدد الضحايا من الجنود الأميركيين- التي وصلت الى قمتها مع مقتل 80 جندي في شهر واحد منذ شهر شباط- متوقعة مع الدفع بالخطة الأمنية قداماً. فالخطة تهدف الى توفير الأمن لبغداد والمناطق المحيطة بها، عن طريق إرسال 17500 جندي أميركي وآلاف من أفراد الشرطة العراقية والجيش في وحدات عسكرية صغيرة لها مهمات وواجبات خاصة. أما الهدف، فهو توفير الحماية للأهالي المعتدى عليهم وخلق مجال للتنفس أمام العراقيين للتحرك قداماً وتسوية خلافاتهم السياسية.

وقد وصل حوالي 10,000 من هؤلاء الجنود الأميركيين الى العراق الآن، وهم يشكلون ثلاثة ألوية من أصل خمسة "للزيادة". وانتقل عدد منهم الى المناطق المجاورة لبغداد والى "مواقع أمنية مشتركة"، وحتى الى "مواقع عسكرية قتالية بعيدة نسبياً"، وقاموا بإنشاء جدران أمنية حول نقاط التجمع الشعبية كالأسواق، مخازن الأسلحة المجموعة، والمتمردین السنة المشتبه بهم وكذلك فرق الموت الشيعية. وقد إنخفض عدد فرق الموت الطائفية الى حد كبير، على الرغم أنّ بترايوس لا يزال قلقاً بشأن النشاط في 4 مناطق مجاورة لبغداد. "يستلزم الأمر وقتاً لتطهير منطقة مجاورة"، قال بترايوس. "هذا العمل ليس لشخص قليل الصبر".

وبالواقع، فإنّ إمتحان الإرادات في طريقه الآن في الوقت الذي يتحرك فيه الجيش الى داخل المناطق المجاورة. ففي ظلمة الليل، قام المتمردون بسحب العواتق الإسمنتية الموضوعة حديثاً بعيداً عن الأسواق وذلك في بعض المناطق. وحتى بعدما قام الجنود الأميركيون بسحب الكتل الإسمنتية الضخمة وإرجاعها الى مكائنها وربطها معاً بأسلاك وكابلات سميكة، عاد المتمردون ومعهم أجهزة التلحيم لنقل الكتل الإسمنتية مرة أخرى. "نريد القاعدة الحصول أن تتمكن من الدخول والوصول الى الأهالي"، قال بترايوس. "هذه معركة دائرة الآن للسيطرة على المناطق المجاورة".

وفي إستراتيجية مدروسة كبرى للحصول على دعم أكبر من بلدان أخرى، تم التخطيط لعقد مؤتمر عالي المستوى في شرم الشيخ، المنتجع المصري، وذلك في 3 و 4 أيار. وسوف تكون وزيرة الخارجية الأميركية رايس حاضرة، وكذلك وزراء الخارجية من أوروبا ودول الجوار

للعراق. كما أنّ رئيس الوزراء العراقي وكبار المسؤولين الآخرين سيكونوا حاضرين أيضاً. وفي اليوم الأول من المؤتمر، سيتم تفعيل إتفاقية مساعدات دولية كانت الأمم المتحدة والحكومة العراقية قد عملتا على تنسيقها. أما بالنسبة للإلتزامات العراقية بخصوص الإصلاحات الإقتصادية، فإنّ البلدان ستتعهد بتقديم دعمها لإعادة الإعمار، إما بتجديد إلتزاماتها السابقة وغير المنجزة بالنسبة للمساعدات، وإما بتقديم إلتزامات جديدة وإضافية. وفي مفاجأة سارة، أعلنت العربية السعودية- التي كانت تتذمر علناً من "الإحتلال" الأميركي للعراق- في الأسبوع الماضي بأنها ستعفو عن 80% من الديون التي يدين بها العراق للمملكة، والبالغة حوالي 18 مليار دولار. وهذا جزء صغير من ديون العراق الخارجية القديمة الكلية، والبالغة حوالي 380 مليار دولار. إلا أنّ هذه الإيماءة تعطي الأمل بأنّ الإجتماع لن يكون مجرد ممارسة ديبلوماسية أخرى مخيبة للآمال.

الأصدقاء والخصوم

ستتحول المناقشات في 4 أيار الى السياسات الإقليمية، أي الطرق المعينة التي سيستخدمها كل بلد لمساعدة، أو عرقلة، حكومة العراق الجديدة القليلة الخبرة و كذلك عملية التسوية المحتضرة. أما الضوء، فسيكون مسلطاً على إيران وسوريا وعلى الكيفية التي ستعاطى بها راييس مع دولتين تتهمهما الولايات المتحدة رسمياً بدعم الإرهاب (وفي حالة إيران، السعي لإكتساب الأسلحة النووية). وبدعوتهما أنشطتهما بأنها "دون فائدة بشكل واضح وإستثنائي"، قال بترايوس لـ "يو أس نيوز": "إنها حقيقة. فالمقاتلون الأجانب يأتون الى العراق من خلال سوريا... كما أنّ مجموعات التمرد المختلفة لديها مراكزها القيادية السياسية، إذا أردت، داخل سوريا. أما بالنسبة لإيران فمن الصحيح أنّها تقوم بتغذية الأنشطة الفتاكة جداً جداً من جانب الشيعة، وذلك من خلال تقديم المال، الأسلحة المتطورة، والتدريب".

ثم تابع بترايوس بعد ذلك ليضيف بعض التفاصيل الخاصة جداً حول تدخل إيران: لقد تم القبض مؤخراً على اثنين من قادة فرق الموت، الذين كانوا على إرتباط مع رجل الدين الشيعي المثير للقلق، مقتدى الصدر، وذلك بعد مجهود عمره سنة من قبل قوات العمليات الخاصة الأميركية والعراقية. فبينافصلهما عن الصدر، قام الأخوان، ليث وقيس الخزعلي، على ما زعم، بقيادة مجموعة منشقة مؤلفة من 3000 من الأتباع كانوا يتلقون السلاح والتدريب من إيران.

وفي تحذير غير خافي كثيراً على أحد، قال بترايوس: "لقد حصلنا على مقدار هائل من المعلومات حول الأنشطة الإيرانية خلال إستجواب الأخوين خزعلي ومن خلال المواد المضبوطة معهما، والتي تضمنت سجلات لعمليات مفصلة جداً وتقرير من 22 صفحة حول العملية في كربلاء". ففي الأخيرة، تم خطف أربع جنود أميركيين وقتلهم بواسطة أعضاء ميليشيا شيعية مرتدين بذلات أميركية مسروقة وحاملين بطاقات هويات رسمية. وبدعوته الأنشطة الإيرانية والسورية "بالمخرية جداً"، يأمل بترايوس، بشكل واضح، أنّ رسالته ستصل الى شرم الشيخ.

الشيعة ضد السنة؟

بقلم كون هالينان؛ 2007/4/19؛ Foreign Policy in Focus

في العام 1609 حدث أمر مخيف: ليس مخيفاً بالأسلوب الذي تكون فيه الحروف مخيفة، وإنما بالطريقة التي حصل فيها فتح صندوق الشرور الإنسانية (أسطورة صندوق باندورا). فالملك جيمس الأول، ملك إنكلترا، إكتشف بأنّ تقسيم الناس على أساس الدين فعل فعله كالسحر، وبذلك حكم على الإيرلنديين ما يقارب الأربعة عقود من الدم والعذاب.

وإذا ما كانت إدارة بوش ناجحة بجهودها الحالية في تقسيم الإسلام بوضعها الشيعة ضد السنة، فإنها ستعيد إحياء التكتيك الإستعماري القديم: فرق تسد، وتحافظ على هيمنتها على الشرق الأوسط عن طريق طبقة نخوية متسلطة متحالفة مع صناعة الطاقة الأميركية والدولية. أما آليتها لذلك، بحسب النيويورك تايمز، فهو "تحالف مدعوم أميركياً" لعدة أنظمة سنية، بما فيها العربية السعودية، الأردن، لبنان، ومصر، الى "جانب فلسطين بقيادة فتح وإسرائيل". كما أن الجبهة المعادية للشيعة ستشمل، على الأرجح، تركيا وباكستان.

إيران وما وراءها

إن الهدف ليس إيران ببساطة، إنما هو "الهلال الشيعي"، وهو مصطلح كان أول من أطلقه الملك عبد الله، ملك الأردن. فهذا "الهلال" يشمل إيران، حزب الله في لبنان، والنظام بشار الأسد العلوي في سوريا. فالعلويون أصلهم شيعي. أما الحكومة الشيعية في العراق، فمستثناة عموماً بسبب تحالفها مع قوات الاحتلال الحالية بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا.

وفجأة، بدأ كلام من نوع "المد الشرقي" و "التهديد الفارسي" بالظهور في الصحف الرسمية في المنطقة، على الرغم أن العرب العاديين لا يعتبرون إيران بمثابة تهديد. وقد وجد إستطلاع دولي أثير لمؤسسة الزغبي لبلدان مصر، المغرب، العربية السعودية، لبنان والإمارات العربية المتحدة بأن ما يقارب 80% من أولئك المستطلعة آراءهم إعتبروا الولايات المتحدة وإسرائيل الخطر الأكبر على أمنهم، في حين وضع 11% فقط إيران على القائمة. بالإضافة الى ذلك، يعتقد أقل من 25% منهم بأنه يجب الضغط على إيران لوقف برنامجها النووي، في حين أن 61% يعتقدون بأن لدى إيران الحق بالبرنامج النووي، حتى لو إنتهى الأمر بحصولها على أسلحة نووية.

في الواقع، إن معارضة إيران للولايات المتحدة ودعمها للفلسطينيين أعطاهما شعبية واسعة في المنطقة. وتكتب أميمة عبد اللطيف، وهي منسقة مشاريع في مركز كارنيجي الشرق الأوسط، في الأهرام الأسبوعية بأن "الإجماع في كل من الدوائر السنية والشيعية يظهر بأن المحاولات للتأكيد على التنافس السني- الشيعي ما هو إلا بقصد تحويل الإنتباه عن الإحتلال الأميركي للعراق والأعمال العدائية الإسرائيلية المستمرة.

إنّ الإعتقاد بأنّ الولايات المتحدة تعمل لتغذية هذه التوترات هو إيمان أساسي لا شك فيه بالنسبة للمسلمين من كلا الجانبين. ويقول هؤلاء بأنّ في محاولتها لإنشاء تحالف معاد لإيران، تلجأ الولايات المتحدة الى إستراتيجية تهدف الى رفع شبح الطائفية عبر العالم الإسلامي. أما الهدف الأميركي، فقد يكون صفقة جيدة وأكبر من هلال شيعي، بكل بساطة. "هل يمكن أن تكون نهاية اللعبة الأميركية إضعاف الإسلام من الداخل، وتحويل الإنتباه عن إستهداف المصالح الأميركية الى إستهداف الشيعة؟"، يتساءل جهاد الزين، الكاتب اللبناني في صحيفة النهار.

أما الهاجس الرئيس بالنسبة للولايات المتحدة، فهو النفط. ففي حين ينحدر الإنتاج النفطي في الولايات المتحدة، المكسيك وبحر الشمال، فإنه من المتوقع أن يزداد الإستهلاك الأميركي بنسبة الثلث على مدى الـ 20 عاماً المقبلة. وبحلول 2020، سيتم إستيراد ثلثي النفط الأميركي، وبما أن 65% من إحتياطي النفط المتبقي موجود في الشرق الأوسط. فليس على المرء أن يكون صاحب نظرية مؤامرة ليستنتج بأن إستراتيجية فرق تسد هدفها المحافظة على هذه السيطرة الإستراتيجية لهذه الموارد الطبيعية.

إنّ المحافظة على التوترات في الشرق الأوسط مرهبة أيضاً بشكل هائل لشركات الأسلحة الأميركية. فمنذ العام 2006، أنفقت الإمارات العربية المتحدة، العربية السعودية، الكويت وعمان- أو ستفق على مدى العام المقبل- أكثر من 60 مليار دولار على شراء الأسلحة.

إمحاة النفط

وفي حملتها فرق تسد، بحسب الصحافي سيمور هيرش، وضعت إدارة بوش حداً لدعمها "مجموعات التطرف السنية التي تعتنق رؤية عسكرية للإسلام والمعادية لأميركا والمتعاطفة مع القاعدة". ويستشهد هيرش بمارتن إنديك، السفير الأميركي الأسبق في إسرائيل عندما يقول: "إنّ الشرق الأوسط متوجه نحو حرب سنية- شيعية باردة. فالبيت الأبيض لا يقوم بمضاعفة رهاناته فقط في العراق، إنما أيضاً عبر المنطقة. والأمر يمكن أن يصبح معقداً جداً".

فـ "إعادة النفخ" حدثت. وكما كتب سفير إيران لدى الأمم المتحدة في نيويورك تايمز: "من الذي لا يستطيع أن يتذكر بأنه حتى يتم إحتواء ما دعي بالهلال الشيعي بعد ثورة 1979، تم تغذية التطرف لدى الحركة السلفية الأصولية من قِبَل الغرب- فقط لكي تتحول الى القاعدة والطالبان؟ ولماذا على نفس السياسة في نفس المنطقة أن تحرز نتائج مختلفة الآن؟"

وفي حين أنه غالباً ما يتم تمثيل الشيعة ككيان فرد، فإنّ هناك في الواقع فروقات هائلة بين المجتمعات الشيعية. فهم أكثرية في إيران، لكن الفرس مختلفون عرقياً عن العرب. فالشيعة يشكلون كتلة ضخمة من الشعب المسلم في لبنان، لكن حسن نصر الله، زعيم حزب الله، منتقداً حاداً للحكومة الشيعية العراقية بسبب عملها بتراطط وتوافق تام مع الإحتلال الأميركي.

وفي كل الأحوال، يشكل الشيعة 12-15% من العالم الإسلامي، وخارج إيران والعراق يشكل الشيعة أكثرية فقط في اليمن. فهم، تقليدياً، "مصورين بشكل غير كافٍ" (بدرجة أقل من الحقيقة)، بحسب ما يقول جون آلترمان من مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية. "فاجتماعياً وإقتصادياً، تعتبر المجتمعات الشيعية مهمشة أكثر، أقل تعليماً وأفقر".

وإنّ الحقيقة بأنّ المجتمعات الشيعية- تحديداً في لبنان والعراق، لكن أيضاً في العربية السعودية- قد ظهرت فجأة على الشاشة، لا صلة لها بأي نوع من أنواع المؤامرة الإيرانية أكثر مما لها علاقة بالمقاومة المتنامية لطائفة من الصف الثاني، تقليدياً، في الشرق الأوسط. "فالإنقسامات سياسية وإقتصادية، وليست طائفية"، تقول أميمة عبد اللطيف.

وبالرغم أنّ الإنقسام بين السنة والشيعة يعود تاريخه الى ما بعد وفاة النبي محمد في العام 632 بوقت قصير، فإنّ الثغرة الكبيرة بينهما غالباً ما كان يتم المبالغة بها. وكما يشير الخير فريد هاليداي، من مدرسة لندن لإقتصاديات الشرق الأوسط، فإنّ "الفوارق ضئيلة، وهي أقل بكثير من تلك التي بين الكاثوليك والبروتستانت في الدين المسيحي"، وبأنّ الصراع بين الإثنين ما هو إلا "تطور حصل مؤخراً أساساً، فهو نتاج أزمة الشرق الأوسط السياسية في العقود الأخيرة". فعلى سبيل المثال، الشيعة والسنة مترابطان معاً بزواج الأفراد ويتقاسمان الأماكن المقدسة منذ عقود.

ويحتج هاليداي قائلاً بأنّ الحروب في كشمير وأفغانستان شجعت على الإنقسام لأنّ الجماعات السنية المسلحة كانت قلب المقاومة. فالإنقسامات الحقيقية قد تكون ضئيلة، إلا أنّ الصراع الديني كان دوماً بديلاً لشيء آخر. ففي إيرلندا، أدى الصراع الديني الى تقسيم الإيرلنديين الأصليين عن المستوطنين البروتستانت وظل الفريقان يشدان على خناق بعضهما البعض. اما في مصر، فقد تلاعب البريطانيون بالأقباط ضد المسلمين، كم تلاعبوا باليونانيين المسيحيين ضد الأتراك المسلمين في قبرص.

وكما إكتشف الإيرلنديون حقيقة فاجعتهم، فإنّ الخلافات الصغيرة، إذا ما رُبطت بسياسة أوسع، فإنّ بإمكانها أن تحول قضايا الدين الداخلية الصغيرة الحصرية الى مسألة حياة أو موت. "فهذه النار، ما أن يتم إشعالها، حتى يصبح بإمكانها تدمير التعايش الذي كان موجوداً لعقود"، يقول هاليداي مشيراً للأمر. ولا يمكن لأحد أن يكون متأكداً أين ستنتشر هذه النار ومن ستحرق.

